مطالعته وليس في هذا السفر الجليل سوى خلل واحد وهو ثمنهُ البالغ مئة فرنك . نعم ان هذا قليل بالنسبة الى نفاسة الكتاب لكنَّ من شأنهِ ان يصدَّ كثيرين من ورود مناهلهِ الصافية العذبة ومن اقتباس فوائدهِ الجمَّة

وعلى رأينا انهُ كان الاولى بان يُقتصر على قسم من الصور او ترسم بطريقة ابسط فيتمكَّن كثير من العلماء من اجتناء اثارهِ واجتلاء انوارهِ لاسيَّما ان بعض هذه الصور المرسومة بالفوتوغراف ليست جليَّة واضحة فالفائدة منها قليلة وإهمالها افضل من اثباتها . هذا ما يمنُّ لنا في امر الكتاب شاكرين الشكر الجميل لكل من سعى بنشرهِ

خبر ايقونة صيدنايا العجيبة

تمهيد

ليس في الشرق صورة عجيبة تكرَّر ذكرها في التاريخ كصورة صيدنايا وهي قرية شهيرة من اعمال دمشق . وكانت هذه الصورة في كنيسة على اسم السيدة زعم البعض انَّها من بناء القيصر يستنيانوس في القرن السادس ورجَّح غيرهم انَّ اودكية زوجة الامبراطور ثاودوسيوس الثاني واخت الغدية بولخاريا شيَّدتها قبل ذلك في القرن الخامس في جملة ما اقامت من الاديرة والكنائس . وذهب بارونيوس المؤرخ وغيرهُ الى انَّ بناءها كان في السنة ٨٧٠ للميلاد . وعُرفت هذه الكنيسة منذ زمن قديم بكنيسة الشاغورة او الشاهورة نظنُّها مشتقَّة من لفظة سريانية (صهيونا) معناها الجبل او من (صهيخا) بمعنى الكهف دلالةً على موقع الكنيسة . وقد زارها الزوَّار منذ زمن قديم وذكرها الزائر جيرارد في تاريخ سنة ١١٧٥ (راجع العدد ١١٨٧ من البشير في ٣٠ تموز سنة ١٨٩٥) . وقد اختلفوا ايضاً في تاريخ صورة صيدنايا العجائبيَّة فارتأى البعض انَّها احدى الصور التي صوَّرها القديس لوقا واهدتها الامبراطورة اودكية لمَّا شيَّدت كنيسة السيِّدة مع الدير اللاحق بها . ولا تسلم على اي سَنَد حمل هؤلاء الكتبة قولهم . وللطيِّب الذكر الاب بطرس مرتينوس اليسوعي فصل مطوَّل في تاريخ صورة صيدنايا وعجائبها ادرجهُ في كتابهِ المخطوط عن مزارات البتول في لبنان . وقد ذكر هناك انهُ طلب بكل حرص تاريخاً عربياً لهذه الصورة اشار اليهِ عدَّة كتبة منهم العلَّامة السمعاني في مكتبتهِ الشرقية (ج ٣ ص ٢٨٦ في الحاشية ع ٧) فلم يجد هذا التاريخ الذي منهُ قطعة في المكتبة الواتيكانية . وقد توفَّقنا الى وجود هذه الضالَّة منذ ثلاث سنوات في مجموع مخطوط حصلنا عليهِ في مدينة حمص . وهذا المجموع فيهِ عدَّة مقالات منها جدلية ومنها تعليمية ومنها سيامر وغير ذلك وهي مخطوط ممتاز مضبوط بيد ديمتري استبريا (كذا) اللاذقاني

كتبها سنة ١٨٦٩ . والمقالة الخامسة من هذا المجموع تتضمّن خبر ايقونة صيدنايا وهي بلا شك منقولة من نسخة قديمة — ثم ان حضرة الاب الفاضل قسطنطين باشا الراهب الحلّصي وجد منها نسخة ثانية مكتوبة سنة ٧٠٦٩ للعالم الموافقة لسنة ١٥٦١ مسيحية بيد « الشماس ميخائيل ابن الابروطس (اي المصلّي والمرتّل الاوّل) سليمان ابن المحوري بوحنّا ابن الابروطوس داود ابن القسيس يحنّا كفرجم (كفر بو) من سلمية حماة في مدينة دمشق التي اقام فيها سنتين وخمسة اشهر» . ولا تختلف هذه النسخة عن نسختنا الّا في قصر مقدّمتها وبعض عباراتها ونقص صحيفة منها — . وقد طبع منذ زمن قريب في المطبعة اللبنانية في بعبدا كتيّب عنوانهُ « سورة صيدنايا وعجائبها لسعدى هلال » ولم يمكّننا حتى الآن الحصول على نسخة منهُ فلا نعلم مضمونهُ . ففي نيّة الشهر المريميّ احببنا نشر خبر هذه الايقونة نقلًا عن نسختنا الكاملة مع الاستفادة من نسخة حضرة الاب قسطنطين باشا شاكرين لهُ فضلهُ

ل . ش

(ص ٨٣) بسم الاب والابن والروح القدس

نبتدئ بعون الله وحسن توفيقه نكتب كتاب اخبار القديسين لاجل منفعة الحسني العبادة الذين يقرأون سيرتهم . رزقنا الله شفاعة سيدتنا والدة الاله وشفاعاتهم امين . اول ذلك خبر ايقونة السيدة بقرية صيدنايا وكيف جنابها (كذا) بتدبير من الله

نعلمكم يا اخوة انّ هذه صيدنايا قرية من عمارات دمشق فاعرفكم كيف كان بدء امرها وتجدّدها (كذا) والجرائح التي ظهرت منها ونحن متوسلون شفاعتها لنكون يوم الدين من اصحاب اليمين وان نُحشر في زمرة القديسين ونحظى بتمجيد ربّ العالمين

المجد لله الذي جعل في المجد رضاه واختصّ لمجده ملائكتهُ ومن احبّهُ في عبادته المتلئة من معاني اقانيمه الروحانية وخواصه العقلية . بارئ البرايا . وعالم الخفايا . الذي (٨٤) لا تبلغ الاوهام كنز معرفته . ولا تُدرك حقيقة جوهريته . المتعالي عن النعوت والصفات . خالق الارض والسماوات . ديّان الاحياء والاموات . الذي هدانا وارشدنا الى ما يخلصنا من المحزنات . واظهر لنا مواقع منفعتنا وبيّن لنا مواضع خلاصنا فيجب علينا ان نمجده ونسبحهُ الى ابد الدهور كلها امين

ينبغي لنا ان نبالغ الجهاد في الروحانيات لعلّنا نربح شيئًا ونضاعف القنطار الذي اودعهُ الرب الينا اضعافًا كثيرة . فان الفلّاح انما يصبر على الحرّ والبرد لعلهُ يربح ربحًا يسيرًا وكذلك المسافر لا يكترث باسباب الكاره اذا لحقتهُ الاهوال وقطع الطرقات

وما يجري عليهِ من الحوادث . وكذلك الصياد فانهُ يصبر على برد الماء لعلهُ ينال صيدًا . واما العناية بالاقوال الالهية فاقول : ليس فيها حزن ولا تعب ولا اكتئاب ولا نصب (٨٥) ولكن رجاء وسرور وهي كنز الى ابد الدهور مذخور . فكيف ينبغي لي ان اتوانى فيها خاصة اذا رأيت مثابرة المسيحيين وحرص نشاطهم ومحبتكم تحبون ان تعلموا خبر صورة الستّ السيدة التي قد ظهرت فيها الآيات والمعجزات الباهرة التي بها ننال البركة وبها تنزل النعمة شفاعتها تحفظنا نحن واياكم امين

نعلمكم يا اخوة انهُ كان هذا الدير الذي لستنا السيدة بقرية صيدنايا مسكنًا للراهبات . وكان فيهِ راهبة فاضلة تقيَّة ملازمة العفة مثابرة على الصوم والصلاة وكان اسمها مارينا وكانت تقبل الضيوف والغرباء بشاشة روحانيَّة وتكرمهم غاية الاكرام . وذلك ان في سنة ١٢١٢ للاسكندر (٩٠٠ م) حضر اليها رجل راهب خيّر دين عفيف ناسك تقيّ طاهر مكمل بانواع الفضائل . وكان اسمهُ انبا ثاودورس وكان ماضيًا الى بيت المقدس (٨٦) لان هذا الموضع كان مرحلة لجميع القوافل الآتية من المشرق وكان الراهب من بلاد المشرق . فقبلتهُ الراهبة مارينا احسن قبول واكرمتهُ غاية الاكرام فاقام في الدير ثلثة ايام فلمَّا دعاهُ رفقاؤهُ الى السفر طلب منها وسألها وقال لها : صلّي عليَّ فاني ماضٍ اتبارك من الاماكن المقدَّسة التي في بيت المقدس . وانهُ قال لها بقسم : ان كان لكِ حاجة الى الدير حتى اقضيها . فاجابتهُ الى سؤالهِ وقالت : اشتهي من قدسك ان تأخذ هذه الامانة مني وتشتري لهذه الكنيسة قونة تكون على اسم السيدة الحنونة . فما قبل أن يأخذ منها شيئًا بل قال : صلّي عليَّ

. ثم انهُ ودَّعها ومضى الى بيت المقدس وشاهد جميع المواضع الشريفة وتبارك منها . فلمَّا قضى سائر زيارتهِ واراد (٨٧) السير خرج عن المدينة مقدار رمية سهم واذا بصوت يقول لهُ : يا ثاودورس نسيتَ ما اوصتك بهِ الرئيسة مارينا . عند ذلك بقي في حيرة عظيمة ولم يعلم من اين جاءه الصوت بل انهُ اثنى وعاد الى المدينة المقدسة فوجد هناك قونًا كثيرة فلم يلتقِ بينها احسن من هذه القونة العجيبة لان كان عليها نعمة فاضلة . وكان جماعة الوقوف يشاهدون حسنها ولمَّا رآها الراهب احبَّ ان يشتريها . فلمَّا دفع ثمنها خرج مسرعًا عساه يلحق ارفاقهُ فلمَّا لحقهم ساروا تلك المرحلة ولما نزلوا اخذ الراهب القونة ولفَّها في قطن نظيف . ووضعها في منديل رفيع . ووضعها في مخلاة

وفي غد ذلك اليوم وهم سائرون اذ خرج عليهم لصوص ارادوا قتلهم واخذ (٨٨) متاعهم فنزعوا فزعاً عظيماً . وفيما هم متحيّرون واذا صوتٌ من الايقونة يقول لهم : اعبروا ولا تخافوا منهم . فعبروا بين ايديهم ولم يطرح احد عليهم يداً . وكان هذا في مكان يُعرف بوادي الجنب فلمّا وصلوا الى نابلس اتفق لهُ انهُ صاحبَ قوماً آخرين وكان بعضهم يريد السفر في البحر وبعضهم في البرّ لانَّ الطريق كانت مخيفة جدًّا من كثرة الاسود وقطاع الطريق

فاتفق انَّ بعضهم سار الى الناصرة فسار معهم وكان في تلك الطريق اسدٌ ضارٍ فلمّا توسّطوا الطريق واذا بالاسد قد ظهر فلمّا رأوه فزعوا فزعاً شديدًا . واذا بصوتٍ من الايقونة يقول لهُ : اذهب ولا تخف من هذا الاسد . فلمّا سمع الصوت قويَ قلبهُ واشتدَّ عزمهُ وشجّع اصحابهُ واذا بصوتٍ (٨٩) اخر يزهر الاسد ويزجره بصرامة ويقول : ليس لك عليهم سلطة . فللحال ولّى الاسد منهم منكساً رأسهُ وان الراهب لمّا رأى ما صنعت الايقونة من هذه العجائب المذكورة ازدادت رغبتهُ في الايقونة وفكر في نفسهِ وقال : اني اخذ هذه الايقونة لتكون لي سندًا بقوّة وامانة لا على سبيل الخيانة وانهُ وصل الى الناصرة وتبارك من آثار الستّ السيدة . وانهُ عزم ان يسير الى عكا ويركب في البحر وكان قصده ان لا يمرّ على قرية صيدنايا لكثرة رغبتهِ في الايقونة المقدسة . فلمّا ان وصل الى المدينة المذكورة اصاب مركباً سائرًا فركب فيهِ . فلمّا ان لجُوا في البحر هاج عليهم ريحٌ عاصف وكاد ان يغرق المركب ومن فيهِ من تلك الشدّة حتى أيسوا من الحياة وانهم (٩٠) ابتدأوا في رمي قماشهم . وبقي الراهب متحيّرًا ماذا يصنع واذا بصوتٍ خارج من الايقونة قائلاً لهُ : لا تخف فاني معك . فعند ذلك سكنت الامواج وهدأ الريح ولم يحسّوا بالمركب الّا وقد رسا في الموضع الذي اقلعوا منهُ ففكر الراهب وقال في نفسهِ : لعلَّ ما جرى عليَّ من تعريجي عن الطريق ورغبتي في اخذ الايقونة

ثم بعد ذلك دخل الى المدينة وجاء الى طبريّة ومنها اتى الى دمشق ومن دمشق طلع الى قرية صيدنايا بعناية الهيّة فدخل الى الدير وصلّى ولم يعرّف الراهبة بنفسه والراهبة ايضاً لم تعرفهُ من كثرة الشاردين . فلمّا استراح من تعبهِ بات طول ليلتهِ بالصلاة والتخشع والطلبة الى الله فعند ما فرغ من صلاتهِ اخذ الايقونة حتى يفتقدها فحلَّ المنديل عنها فوجد القطن مبلولاً مع المنديل ايضاً فتعجّب وكشف القطن واذا بالايقونة مكللة

بالعرق (٩١) ففرح وابتهج وقال في نفسه : اني اخذها وتكون صحبتي اين ما توجهت. ثم اخذ القطن ورده عليها ولفها في المنديل ووضعها على حالها في المخلاة من شدة محبته لها

ولما كان الغد ودّع الراهبة وقال لها : صلي عليّ وخرج يطلب الباب فلم يجده مفتوحاً فبقي في حيرة عظيمة وجاهد ثلثة ايام ثم جاءه طعام فلم يأكل فظنّت الراهبة انهُ ناقص العقل. ثم تقدمت اليهِ برفقٍ ووداعة قائلة لهُ : ما الذي نالك وما الذي انت فيهِ. فعند ذلك سلم على الراهبة وعرّفها بنفسهِ قائلاً : انا الذي جئت في الوقت الفلاني واوصيتني اشتري قونة صورة السيدة الطاهرة من بيت المقدس. فعرفتهُ لساعتها وطرحت لهُ مطانية (١ وابتدأ يخبرها كيف كان خروجهُ من القدس وكيف جاءه الصوت (٩٢) لما نسي الايقونة ومشتراه لها ولحوقهُ لاصحابهِ وما جرى لهُ من اللصوص والاسد وانتهارها للاسد ورغبتهُ فيها وسيرهُ عن الطريق وركوبهُ في البحر ورجوع المركب الى موضعهِ ورجوعهُ الى المدينة وعبورهُ الى دمشق وطلوعهُ الى صيدنايا ودخولهُ الى الدير واخفائهِ نفسهُ عنها وفتحهُ للمخلاة وحلهُ للمنديل ورطوبة القطن وتكلل القونة بالعرق

فلمّا استوقت الراهبة حديثهُ سبّحت الله وعملت لهُ مطانية عند قدميهِ. وهو ايضاً عمل لها مطانية واخذ المخلاة واخرج الايقونة واراها اياها وكيف هي مرطّبة بالرشح وان الرئيسة ابتهجت ابتهاجاً عظيماً وذرفت دموعاً غزيرة. وانهم بدأوا يمسحوا القونة بالمنديل وكانت كلما مسحوها تتكلل بالعرق وكانت رائحتهُ ذكيّة (٩٣) جداً ليس مثلهُ في العالم. وان الراهب قال للرئيسة : ها القونة قد جئتُ بها لهذا الموضع واريد منكِ حفظها والقيام في خدمتها كما يجب وانهم اخذوها ووضعوها في طاقة غير مكونة (؟) مطيّنة بالتراب وان الرشح تزايد حتى كان يسيل الى خارج ويقع على الارض وان الراهب قام في خدمة الموضع الى ان تنيح وقُبر خارج الكنيسة والراهبة ايضاً خدمت الموضع المبارك الى ان تنيحت وبعدها تناوبت الراهبات في خدمتها واحدة بعد واحدة وكذلك الرهبان من واحد الى واحد الى يومنا هذا.

وفي سنة ١٣٧٠ للاسكندر (٢ حضر في ذلك الموضع المقدس من مدينة القسطنطينيّة

---

١) المطانية لفظة يونانيّة (μετάνοια) معناها التوبة والتخشّع ثم استُعملت بمعنى السجدة

٢) وفي نسخة حضرة الاب قسطين باشا ١٣٧٣. توافق ١٠٦١ للمسيح

مطران وكان اسمهُ مكسيموس (١ جاء يتبارك من القونة المقدسة لانهُ قد كان سمع بخبرها وانهُ لمَّا ابصر هذه العجيبة من نزول الحيل (٢ انكر ذلك (٩٤) وقال : هذا لا يجوز . وكان المتولي في ذلك الوقت اسمهُ يوحنَّا فشاور المطران في نقل الايقونة من ذلك الموضع الى موضع اخر فاذن لهُ المطران في ذلك واخذ المطران من البركة وانطلق الى بلدهِ وهو يسبح الله . فامَّا المتقدّم في ذلك الوقت فانهُ اقترح لها هذا الموضع الذي هي الآن فيهِ وزخرفهُ بحجارات رخام وجلل الطاقة بالحرير المرقوم بالذهب وكان في ذلك الوقت رجل كاهن اسمهُ مرقص وانهُ عمل قدلساً ولما ان حلَّ القداس اتى اليهِ الراهب قبل ان ينزع البدلة وقال لهُ : يا ابانا نريد من قدسك ان تنقل هذه الايقونة من هذه الطاقة الى الاخرى . وانهُ عمل طاقة وحملها على ذراعيهِ . واذا برجفةٍ عظيمة صارت في ذلك الموضع وكنت تسمع الماء الذي في الصهريج لهُ ارتعاج عظيم حتى ان الحاضرين بذلك الموضع ظنوا ان الدنيا قد حان زوالها من شدَّة الرجفة والارتعاج وان القسيس جعلها في موضعها وطلب ان يردَّ يديهِ الى صدرهِ فلم تطاوعهُ ولم تمتدّ واعتقل لسانهُ من الرعب والفزع الذي نالهُ وقام ثلاثة ايام وتنيَّح ومضى الى مساكن القديسين

فلمَّا رأوا هذه القدرة امروا ان لا يعود يدفن فيها ميت ولا يخدمها الَّا راهب بتول او راهبة عذراء ومن تعدَّى كان تحت القوانين المقدسة وهي الى الآن في هذا الدير المذكور يظهر منها كل وقت عجائب عظيمة ومعجزات باهرة تشفي الامراض والاسقام . فكم من اعمى قد ابصر واصم قد سمع واخرس قد نطق ومحموم قد شفي ومجنون قد برئ . يا اخوتي واحبائي اقول قولًا واحدًا انها تشفي كل مرض وتقضي كل حاجة حتى ان كل من اخذ من حيلها بامانة زاد عنده وفاض ومن اخذ بغير امانة لم يبقَ معهُ شيء وهي الان تظهر الآيات والمعجزات (٩٦) في بيوت الاخذين منها بامانة صحيحة

فاذا كان ايها الاولاد المباركون والاخوة الروحانيون حفظكم الله ما قد سمعتم من اخبار هذه الصورة الذي قد شاع خبرها في سائر المسكونة وعُرف فضل عجائبها فيشتاق كل من الناس الى نظرها والتبرُّك بها فسبيلنا ان نريد في كرامتها والحفظ لها والافتقاد لها

---

١) وفي نسخة الاب ق . باشا اسمهُ انبا موسى

٢) وفي نسخة الاب ق . باشا : وانهُ لمَّا ابصر هذه القدرة وهي حالة في هذه الايقونة والحيل ينزل على الارض انكر ذلك . والحيل الندى والمرّق

بالادهان الفائقة والروائح الطلية والشمع والبخور الفاخر والزيت النقي وتبعد عنها الرائحة الكريهة ولا يجوز دفن الموتى في كنيستها فان كل من تعدّى ودفن ميتاً فلا يكون له رحمة ولا نياح والعياذ من ذلك . وكان العتني بهذا الخبر وشرحه الراهب ابنا يوحنا نيّح الله نفسهُ وغفر خطاياه وخطايا جميع المسيحيين بشفاعة ذات الشفاعات ومعدن الرحمات وست الستات الطاهرة الثاوطوكس مرتمريم وجميع القديسين غفر الله خطايا الكاتب والقارئ والسامع والذي قال امين

اسباب الطرب في نوادر العرب

جمعها الاب لويس شيخو اليسوعي من آثار كتبة العرب (تابع)

سوّار صاحب الرحبة والاعمى

من غرائب الاتفاق والمكافأة عن الجميل ما اورده محمّد بن القاسم الانباري قال : اخبر سوّار صاحب « رحبة سوار » وهو من المشهورين قال : انصرفتُ يوماً من دار امير المؤمنين المهدي فلمّا دخلتُ منزلي دعوتُ بالطعام فلم تقبلهُ نفسي فامرتُ به فرُفع ثمّ دعوتُ جاريةً احدثُها فلم تطب نفسي . فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم . فنهضتُ وامرتُ ببغلةٍ لي أُسرجت وأُحضرت فركبتُها . فلمّا خرجتُ استقبلني وكيل لي ومعهُ مال فقلتُ : ما هذا . فقال : أنا درهم جئتُ بها من مستغلّك الجديد . قلتُ : أمسكها معك واتبعني . فاطلقتُ رأس البغلة حتّى عبرتُ الجسر ثمّ مضيتُ في شارع دار الرقيق حتى انتهيتُ الى الصحراء ثمّ رجعتُ الى باب الانبار وانتهيتُ الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشتُ فقلتُ للخادم : أعندك ماء تسقينيه . قال : نعم . ثمّ دخل واحضر قلّةً نظيفة طيّبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربتُ وحضر وقت العصر فدخلتُ مسجداً على الباب فصلّيتُ فيهِ . فلمّا قضيتُ صلاتي اذا انا بأعمى يتلمّس فقلتُ : ما تريد يا هذا . قال : اياك اريد . قلتُ : فما حاجتك . فجاء حتى جلس الى جانبي وقال : شممتُ منكَ رائحةً طيّبة فظننتُ انك من اهل النعيم فاردتُ ان احدّثك بشيء . فقلتُ : قل . قال : ألا ترى الى باب هذا القصر . قلتُ : نعم . قال : هذا قصرٌ كان لابي